مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تصدر عن

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة

مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السّنة الأولى – العدد الثاني
١٤٣٨هـ – ٢٠١٦م

التأسيس لمنهج إقصاء ذكر علي (عليه السلام)
قبل عصر تدوين السيرة النبوية وأثره في الفكر الإسلامي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

Erecting a Policy to Eliminate the Mention of Imam Ali (Peace be upon him) prior to Documenting the Prophetic Chronicle and Its Impact on the Islamic Mind

NABIL QADORY HASSAN AL.HASANI

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى اكتناه المحاولات الأولى لتأسيس منهج إقصاء ذكر الإمام علي عليه السلام قبل عصر تدوين السيرة النبوية، ودراسة أثر هذا التأسيس في الفكر الإسلامي، مستنداً في ذلك كله إلى النصوص التاريخية والحديثية.

ومن أبرز ما توصل اليه الباحث إنّ هذا المنهج قد بدأ منذ الأيام الأولى التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانه تسبب في تصدّع منظومة الفكر الاسلامي منذ ظهوره وإلى يومنا هذا، مما قدّم صورة مشوهة عن الإسلام، فضلاً عن تفرق المسلمين وتكفير بعضهم بعضاً وتغلل الفكر التكفيري وسطوته على الحياة الاسلامية في عصور مختلفة.

Abstract

The meant research paper is to reconnoiter the first attempts to eliminate the mention of the Imam Ali prior to documenting the prophetic chronicle and its drastic impact on the Islamic mind and reverts into histological and modern sources to prove the desired goals.

The most salient vantage point it culminates in is that the policy takes the initiative from the first days of the prophet decease and disseminates the seed of dissention in the Islamic thought system ever since it has been run into being and defaces the portrait of Islam, casts chasm between Muslims and cafirizes each other, that is why the kafirization mind prevails and takes seizure over the Islamic life in various ages.

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على أتم النّعم محمد صلى الله عليه وعلى آله الأخيار.

أما بعد: فإن الحديث عن السيرة النبوية ونشأتها بوصفها علماً يعد من بين أبرز العلوم الإسلامية، فهو حديث عن الأمة الإسلامية إن لم يكن هذا الحديث يجمع تاريخ النبوة وعلة الوجود والبعث واليوم الآخر؛ إنه باختصار تاريخ الحضارة البشرية ورقيّها.

والحديث عن السيرة النبوية بهذه المرتكزات وغيرها يشكل مادة خصبة لرسم حقيقة الإنسان وظهور مصاديق الخير والشر فيه.

ومن ثمّ فلأهل الخير صولة ولأهل الشر جولة ظهرت تجلياتها وواقعها على صفحات السيرة النبوية، ابتداءً من التأسيس لمنهج إقصاء كثير من النصوص السيرية لشخص النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، فهو المعني الأول عند أهل الإقصاء لهذه السيرة الحقيقية، ثم تلوه بوصيه وخليفته في أمته الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فكان الشخصية الأبرز في الإقصاء من مفاصل السيرة النبوية.

ومِن ثَم فقد فتح هذا المنهج الباب لكثير من التساؤلات، التي ما زال بعضها لم يجد الإجابة إلى وقتنا الحاضر، ومنها:

١. متى بدأ التأسيس لمنهج إقصاء ذكر الإمام علي (عليه السلام)؟ ومَن أبرز قادته؟

٢. مَن هو المستهدف من تأسيس هذا المنهج؟ أهو شخص الإمام علي (عليه السلام) أم الإسلام فكراً وعقيدةً؟

٣. ما مدى تأثير هذا المنهج في تغيير كثير من الثوابت العقدية والمقاصد الشرعية ابتداءً من الأصول وانتهاءً بالمسائل الفقهية ومن ثمّ في المنظومة الفكرية للمسلمين؟

هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها بهذا البحث، الذي سنقسمه على مجموعة من المسائل، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تحديد عصر تدوين السيرة النبوية وبيان أبرز سمات العصر والمدونين

يشكل تحديد عصر التدوين أهمية في البحث وذلك لبيان الأسس التي ارتكز عليها منهج إقصاء ذكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في كتب السيرة النبوية بنحو خاص وفي بقية العلوم والمصنفات الإسلامية بنحو عام.

إلا أن الدراسات التاريخية لم تتمكن من تحديد الوقت الذي ظهر فيه أمر التدوين عند العرب بشكل دقيق، على الرغم من أن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كانت منذ أكثر من مائة عام.

وهذه الدراسات (كثيرة بالقياس إلى الابحاث التي تمّت في اكثر المجالات الأخرى للتراث العربي، ومع هذا كله، ونظراً لأن الآراء في الموضوع لا تزال مختلفة متضاربة فإنه يكاد يصبح متعذراً على المؤرخ أن يقدم عرضاً اجمالياً لهذا الموضوع بنفسه ، وأن يخضع النتائج التي توصل إليها الباحثون للفحص النقدي من جديد)[1].

وتدور اغلب الدراسات التاريخية حول محورين، المحور الاول: يذهب إلى أن الحديث كان يتداول أساساً بالرواية الشفوية؛ بمعنى: انعدام التدوين في القرن الأول آلهجري ومطلع القرن الثاني آلهجري، وأن الأحاديث والاخبار كانت تنقل بالأسانيد.

ويدور المحور الثاني: حول وجود كتب قديمة سبقت مرحلة التدوين التي ظهرت في القرن الثاني آلهجري؛ أي بمعنى: وجود كتب دونت فيها الأحداث والوقائع التاريخية، ولا سيما فيما يختص بحياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلم، وإنها كانت المادة الأساس التي نقل عنها الطبري وغيره.

ولكن هناك بعض الدراسات التاريخية الأخرى قد أشارت إلى وجود بعض الكتب التي اهتمت بدراسة حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والتي عرفت باسم (المغازي)، وتعني غزوات الرسول (صلّى الله عليه وآله) وسلم وحروبه.

وقد أشارت هذه الدراسات إلى أن أقدم

ما كتب في هذا المجال هو ما دونه (أبان بن عثمان) المتوفى بين ٩٥ – ١٠٥هـ (فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي، ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه إلا أنها توصف بأنها من الحديث وإذا استثنينا إشارة إليه في تاريخ اليعقوبي فإننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه، في حين أنه يروي عنه كتب الحديث، ويبدو ان ابان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي)[٢].

وهذا الواقع الذي تم فيه التعامل مع كتاب المغازي لأبان بن عثمان يطرح تساؤلاً حول وجود هذا الكتاب من جهة، ومن جهة أخرى العلة في عدم نقلهم نصوصاً منه؟ في حين ذهبت بعض الدراسات الأخرى إلى أن عروة ابن الزبير (المتوفى سنة ٩٤هـ) هو أول من ألف كتاباً في المغازي؛ (وأن شيئاً من مغازيه في مقتبسات وروت عن بعض المؤرخين كالطبري وابن اسحاق والواقدي وابن سيد الناس وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل من تاريخ المغازي.

وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول (صلّى الله عليه وآله)[٣].

وهذا في الواقع يكشف عن حجم الحصار الذي فرضته الأجواء السلطوية الأموية ومن سار على نهجها – كما يمر بيانه مشفوعاً بالأدلة- على النتاج الفكري بنحو عام لا سيما فيما يتعلق بحياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسيرته والعترة النبوية ونتاجها الفكري، ولو اطلع الباحثون على هذا النتاج الفكري لعلموا أن هناك العديد من الكتب التي كتبت في سيرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبل عروة بن الزبير بعشرات السنين.

ولكي يعلم الباحث والقارئ أسبقية مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في تدوين العلوم كافة، فعليه أن يقارن بين قول الحافظ شمس الدين الذهبي في تحديد السنة التي بدأ بها المخالفون لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في التدوين وبين

الوقت الذي بدأ فيه مشروع مدرسة العترة النبوية (عليهم السلام) في تدوين العلوم كافة والاشتغال في التصنيف فيها.

قال الذهبي في التذكرة: (في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث، والفقه والتفسير، فصنف ابن جريح بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة.

ومعمر باليمن، وسفيان بالكوفة، وصنّف ابن اسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنّف هيثم والليث (بن سعد) وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب، وكَثُر تدوين العلم وتبويبه؛ ودوّنَت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حِفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة[٤].

ولم يشر الذهبي إلى هذه الصحف غير المرتبة، لا سيما وأن الشيخين أبي بكر وعمر قد جمعا السُّنة وأحرقاها، ومنعا تدوين الحديث النبوي والسيرة، وما زال الناس بعدهم على هذا النهج حتى اكرههم حكّام بني امية على الرواية والكتابة ، كما سيمرّ بيانه.

ولذا: فإن أول سمات ظهرت لتأسيس منهج إقصاء كثير من حلقات سيرة النبي وسنته (صلّى الله عليه وآله) وسلم لا سيما ما يخص عترته (عليهم السلام) كانت في زمن الشيخين أبي بكر وعمر وذلك بحسب ما دلت عليه النصوص التاريخية والحديثية، ومن ثمّ يعد هذا العصر هو العصر الأول لظهور منهج إقصاء ذكر علي (عليه السلام) الذي تجلت آثاره لاحقاً على الفكر الإسلامي إلى يومنا هذا ولم تزل هذه الآثار تسير جنباً إلى جنب مع المسلمين، حتى يأذن الله بظهور ابن فاطمة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً كما نص عليه الحديث النبوي الشريف[٥].

من هنا فإن دراسة النصوص التاريخية

والحديثية ترشد إلى أن الخليفة أبا بكر قد اتبع بعض الآليات لإرساء منهج إقصاء كثير من الأحاديث النبوية ومن ثَمّ تبعه الخليفة عمر بن الخطاب وزاد في هذه الآليات، وذلك بحسب ما دلت عليه النصوص الآتية:

١. روى الحافظ الذهبي عن عائشة أنها قالت جمع أبي الحديث عن رسول الله (صلّى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) وكانت خمس مائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت فغمّني، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيءٍ بلغك؟

فلمّا أصبح قال: (أي بنية هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها).

فقلت لم احرقتها؟!

قال: (خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك)[٦].

٢. وروى أيضاً عن ابن أبي مليكة قال: (إن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: (إنكم تحدثون الناس احاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله (صلّى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) شيئاً! فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاّله وحرّموا حرامه[٧].

والحادثتان تدلان على التأسيس لمنهج الإقصاء لسّنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسيرته وقد حاول أبو بكر من خلاّلهما منع رواية الحديث النبوي، بل وإتلافه وحرقه في بادئ الأمر، فلما بدا له أن هذا الأمر، أي إقدامه على حرق هذه الأحاديث الخمس مائة لا يحقق الإقصاء وذلك لكونها موجودة عند صحابة النبي (صلّى الله عليه وآله) ومن ثم ستخرج إلى الناس في يوم من الأيام ويسود بينهم ما ورد فيها ومن ثم لا جدوى من حرقها، فقد عمد إلى اتباع آلية جديدة وهي منع الصحابة كافة من التحديث بسيرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسنته ومطلق ما يروى عنه كما ينص الحديث صراحة بذلك فقال: (فلا تحدثوا عن رسول الله (صلّى الله

عليه وآله) شيئاً).

وهذه الآلية الجديدة ضمن هذا المنهج الذي أسّسه أبو بكر في إقصاء أحاديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلم كافة، ومنع الناس من التحديث ولو بحديث واحد، لم تُجدِ نفعاً هي الأخرى؛ فقد تكشّف فشله سريعاً بعد وفاته وذلك حينما تولى عمر بن الخطاب الخلافة من بعده؛. مما دفعه إلى اتباع آليات أخرى لإرساء هذا المنهج في إقصاء سنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلم وسيرته، والسؤال المطروح: كيف سيكون حال ذكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في عهد عمر بن الخطاب؟ الذي ملأ هذه السيرة النبوية فما من مشهد من مشاهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلم إلا وعلي حاضر فيها، بل وما من جزئية من جزئيات هذه السيرة إلا وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) له شطر فيها منذ ولادته (عليه السلام) وإلى يوم وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم).

ومن ثم كيف ينجو عليٌّ وآله من هذا الاقصاء وهم مآلهم مع القوم، ولذا: كانت الآليات في عصر عمر بن الخطاب أكثر عدّة وعدداً وصرامة، فكانت كالآتي:

١. روى ابن سعد في الطبقات: (إنه لما بلغه ـ أي عمر بن الخطاب ـ أنه قد ظهرت في أيدي الناس كتب فاستنكرها وكرهها، وقال: (أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب أستنكرها وأكرهها ، وقال: (أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي).

قال فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها على أمر لا يكون فيه اختلاف فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار، ثم قال: (أمنية كأمنية أهل الكتاب)[٨].

٢. عن يحيى بن جعدة: (أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السّنة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب في الامصار من كان عنده شيء فليمح)[٩].

٣. وروي أيضاً (انه قد استشار الصحابة في تدوين أحاديث رسول الله

(صلّى الله عليه وآله وسلم) فأشاروا عليه بأن يكتبها فطفق يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له.

فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها، فتركوا كتاب الله تعالى، وإني لا ألبس كتاب الله بشيءٍ أبدا)[١٠].

وتتميز هذه الآليات التي اتّبعها عمر ابن الخطاب في إرساء منهج إقصاء السّنة النبوية وسيرة النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم) بما يلي:

أ. إحراق جميع الكتب التي كانت بأيدي صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وهذه الكتب فيها تصانيف عديدة منها ما ارتبط بالمعارف الإسلامية كالحديث والتفسير والسّنن وغيرها، ومنها ما ارتبط بتاريخ العرب وحياتهم وسيرهم ونمط حياتهم ومآثرهم، ومنها ما ارتبط بالديانات السابقة التي كانت تسكن المدينة كالابراهيمية واليهودية والمسيحية. ومن ثمّ فقد تمّ حرق التراث الإنساني.

ب. لا شك أن هذه المرحلة من حرق التراث الإنساني والإسلامي قد خلّف فراغاً معرفياً كبيراً في المجمع وتسبب في ضياع السّنة النبوية وسيرة النبي (صلّى الله عليه وآله) ليتسنى له إملاء ما يتناسب مع توجهات الخليفة ومقتضيات الخلافة وهو ما بدا في المرحلة التي تلت مرحلة الإحراق وهي مرحلة الإمحاء للسّنة خارج حدود عاصمة الخلافة الإسلامية في المدينة وتعميم ذلك في جميع المدن الإسلامية.

ج. لا شك أن الرواية حينما ذكرت أن عمر بن الخطاب قد طفق شهراً يستخير الله في كتابة وتدوين احاديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ثم بعد مرور هذا الشهر بدا له أن لا يكتبها إنما لكونه كان ينتظر أن تكون الخيرة موافقة لرأيه في عدم كتابتها وإلا لو كانت الخيرة تأمره بالنهي عن تدوين احاديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لما استلزم ذلك شهراً وقد حسم الله له الأمر فيها.

لكنه لم يجد بُداً إلا أن يمضي في إرساء منهج إقصاء سُنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وسيرته كاملة سواء كان ذلك

بآلية حرقها أو محوها في جميع الأمصار.

والسؤال المطروح في البحث: إذا كان هذا حال السّنة النبوية وصاحبها (صلّى الله عليه وآله وسلم) في عصر الشيخين، فكيف حالها في عهد بني أمية الذي ابتدأ بعصر عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان، ومن ثم كيف سيكون حال ذكر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وما هو أثر هذا الإقصاء على تصنيف العلوم الإسلامية وتدوينها لا سيما السيرة النبوية؟! هذا ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الثانية: إقتداء حكّام بني أمية بمنهج الشيخين في إقصاء ذكر علي (عليه السلام)

إن من البداهة بمكان أن يكون لهذا المنهج الذي أرساه الشيخان في إقصاء الأحاديث النبوية الشريفة، التي جمعت في بطونها ترجمان القرآن والتشريع الإلهي سنة وعقيدة أثرُهُ البالغ على الفكر الإسلامي – وهذا ما سيُبيّن لاحقاً – وإرساء عقيدة جديدة وسنّة جديدة عُرفت بسيرة الشيخين وسنّتهما.

لذا: فقد قال الزركشي عن ابن فارس: كره بعض علماء المسلمين أن يقال سنّة أبي بكر وعمر عوضاً عن القول بسنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[11]؛ لأن ذلك يكشف عن منهج الإقصاء الذي أرساه الشيخان في الأمة بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، مكوناً بذاك أرضية خصبة لحكّام بني أمية في اعتماد هذا المنهج الإقصائي ليس فقط لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وإنما للإسلام كله، وهذا ما دلت عليه النصوص الآتية:

١. إن خير شاهد على العصر الذي حكم فيه بنو أمية وشيخهم معاوية بن أبي سفيان الذي سبق مرحلة التدوين بما يقارب المائة عام وذلك أن البدء بالتدوين كان عام (١٤٤هـ) هو الرواية التي أخرجها ابن أبي الحديد المعتزلي، والحافظ القندوزي الشافعي، وابن عقيل، وغيرهم عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) وهو يبيّن لأحد اصحابه

ما نزل بآل البيت (عليهم السلام) منذ أن توفي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال (عليه السلام):

«يا فلان ماذا لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس.

إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبض وقد أخبر إنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، وتداولتها قريش واحداً بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل.

فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثم غدر به، وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن في جنبه وانتهب عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوارع معاوية وحق دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين (عليه السلام) من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونُقْصَ ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمّال السوء في كل بلدة.

فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله أو نفعله ليبغضونا إلى الناس؛ وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسين (عليه السلام)، فقلّت شيعتنا بكل بلدة وقُطِّعت الأيدي والأرجل على الظنّة وكان من ذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب مآله، أو هدمت داره»[١٢].

٢. روى المعتزلي عن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته.

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء

حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان فيهم أيام علي (عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطّع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عمآله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، الذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة الا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا.

ثم كتب إلى عمآله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحبّ إلي وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرأت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به وأهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي (عليه السلام) ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القرّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها)[١٣].

وهذا النصّ يكشف عن تأثير هذا المنهج الذي أسسه الشيخان وقاده معاوية وبذل فيه جميع إمكانات الدولة في طمس الوعي لدى أفراد المجتمع الإسلامي، مما انعكس على الطبقة المثقفة والمتعلمة ولا سيما أولئك الذين سخّروا حياتهم لطلب العلم في الحديث والتفسير والرواية فكيف بأهل التصنيف والتدوين، وهذا ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: أبان بن عثمان وابن شهاب الزهري في مواجهة منهج إقصاء ذكر علي (عليه السلام)

إن دراسة النصوص التاريخية والحديثية ترشد إلى أن أبرز من شهد المواجهة الشديدة بين المدونين للسيرة النبوية-بنحو خاص، والسنة النبوية بنحو عام- وبين الحكام والأمراء الأمويين هما أبان بن عثمان وابن شهاب الزهري على الرغم من أنهما عثمانيا آلهوى، وهو ما تكشّف بالأمور الآتية:

أولاً: تحريف السيرة النبوية لأنها اشتملت على ذكر الأنصار على يد سليمان بن عبد الملك بن مروان.

إن أول محاولة لجمع السيرة النبوية وتدوينها، ومن ثم نسخها كانت زمن الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان حسبما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات- قائلاً: (قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجاً (سنة ٨٢هـ)، فأمر أبان بن عثمان بن عفان[١٤] أن يكتب له سير النبي (صلّى الله عليه وآله) ومغازيه.

فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر سليمان عشرة من الكُتّاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين وفي بدر.

فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتي غمطوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا!!.

فقال أبان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه، ثم أمر بالكتاب فخرق، ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب.

فقال عبد الملك: (وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أمورا لا نريد أن يعرفوها!؟.

قال سليمان: فلذلك أمرت بتخريق ما نسخته)[١٥].

والحادثة المذكورة آنفاً لا تحتاج إلى تعليق، فهي واضحة الدلالة في تدخل حكام بني أمية في تدوين السيرة النبوية؛ وليت الأمر اقتصر على التدخل في كتابتها، بل حرق هذه السيرة وإتلافها لأنها لم تتضمن أي ذكر لبني أمية في مواضع الخير التي حفت بها سيرة النبي (صلّى الله عليه وآله) .

ثانياً: احتدام المواجهة بين الزهري وعبد الملك بن مروان في إقصاء ذكر علي (عليه السلام).

اختلفت الدراسات التاريخية في بيان دور البلاط الأموي وتأثيره على حركة

ابن شهاب الزهري العلمية، فمنها ما ذهبت إلى امتثاله لرغبات البلاط الأموي في (إيجاد مادة دينية تخدم مصالح أسرة بني أمية)[١٦].

وقد استندوا في ذلك إلى أمرين:

أ. أن الزهري كان يجيز للتلميذ أن يروي النصّ من دون سماع على شيخ أو قراءة عليه[١٧].

ب. ما صرح به الزهري في قوله: (كنا نكره كتاب العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين)[١٨].

وقد حاولت بعض الدراسات التاريخية الأخرى الدفاع عن الزهري وتبرئة ساحته من الانخراط في رغبات السلطة الأموية ومساعدتها في تثبيت الحكم، فرأت هذه الدراسة:

١. أنّ ما ذهب إليه (جولد تسيهر) في كتابه الدراسات الإسلامية في مساعدة الزهري للأسرة الأموية هو مجرد لبس في فهم النصّ سببه الترجمة الخاطئة للنص[١٩].

٢. أنّ الفهم الصحيح لقول الزهري هو: (رغبنا عن رواية الأحاديث بطريق الكتابة، أي بنسخ النصوص نسخا وروايتها دون أن تكون قد قرأت على شيخ أو سمعت منه حتى أجبرنا هؤلاء الأمراء على ذكر ذلك فقررنا ألا نحجب هذا عن أحد)[٢٠]، وهذا ما ذهب إليه السيوطي وغيره.

في حين أننا وجدنا بعض النصوص تصرّح: أن الزهري قد عمل لصالح البلاط الأموي، وقد وفر لهم الأجواء الدينية التي أسهمت في تثبيت حكمهم، وتوجه كثير من المسلمين إليهم، وأنه كوفئ على هذا الصنيع لمدّة ليست بالقصيرة من حياته.

ولكنه؛ وبسبب قيامه بمعاقبة أحد المسلمين وتعذيبه حتى الموت حينما كان عاملاً لبني أمية؛ انقلب الرجل، وخرج هائماً، وترك أهل بيته وصحبه حتى لقي الإمام زين العابدين علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، فتحول عن تلك الميول الأموية، وتوجه إلى مرافقة الإمام زين العابدين (عليه السلام).

ومما يدل على هذه الحقيقة ما يأتي:

١. يكشف الزهري عن هذه الحقيقة

ويصرح بأعمآله التي خدمت البلاط الأموي على رغم علمه أنها أعمال كانت مخالفة للشريعة الإسلامية، فيقول في حديثه لمعمر: (حدثني عكرمة عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

«إن الله عز وجل منع بني إسرائيل قطر السماء بسوء رأيهم في أنبيائهم واختلافهم في دينهم، وأنه أخذ هذه الأمة بالسنين ومانعهم قطر السماء ببغضهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)».

قال معمر: حدثني (به) الزهري في مرضة مرضها، ولم أسمعه يحدث عن عكرمة قبلها ـ أحسبه ولا بعدها ـ فلما بل من مرضه ندم فقال لي: يا يماني أكتم هذا الحديث وأطوه دوني فإن هؤلاء ـ يعني بني أمية ـ لا يعذرون أحداً في تقريظ علي وذكره!!.

(قال معمر: فقلت له): فما بالك أوعبت مع القوم وقد سمعت الذي سمعت؟ قال حسبك يا هذا انهم أشركونا في لهاهم فانحططنا لهم في أهوائهم[٢١].

٢. انحطاط الزهري لأهواء حكام بني أمية ـ كما صرح بذلك ـ دفع بعمر ابن عبد العزيز أن يكتب إلى الآفاق: (عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنّة الماضية منه)[٢٢].

وأنه لم يزل مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك وكان قد استقضاه[٢٣].

٣. قضاء ديونه التي أعابه البعض على كثرتها، وقد تكرر من الحكام الأمويين قضاء ديون الزهري فبلغ بعضها (ألف ألف)[٢٤] وأخرى (سبعة آلاف دينار)[٢٥].

إلاّ أن هذا الحال لم يستمر، فقد برهن ابن شهاب الزهري على تحوله من خدمة البلاط الأموي وعدم الانقياد لأهوائهم ولعدائهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

ومما يدل عليه:

ما رواه ابن عساكر، والذهبي في السير، قائلا: (دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم؟ فقال: هو عبد الله بن أبي

سلول، قال: كذبت هو علي!.

فدخل ابن شهاب، فسأله هشام؟

فقال: هو عبد الله بن أبي سلول، قال: كذبت هو علي، فقال: أنا أكذب لا أبالك، فو الله لو نادى مناد من السماء، أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد، وعروة، وعبيد، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي سلول.

قال ـ سليمان بن يسار ـ: فلم يزل القوم ـ أي هشام بن عبد الملك وحاشيته يغرون به ـ إلا أنه لم ينغر ولم يرضخ لهم، فقال له هشام: (ارحل فو الله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك).

قال ـ الزهري ـ: ولِمَ؟ أنا اغتصبتك على نفسي، أو أنت اغتصبتني على نفسي فخل عني.

فقال له: لا، ولكنك استدنت ألفي ألف.

فقال ـ الزهري ـ: قد علمت، وأبوك من قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك.

فقال هشام: إنا إن نهج الشيخ يهج الشيخ، فأمر فقضى عنه ألف ألف؛ فأخبر ـ الزهري ـ بذلك، فقال: الحمد لله هذا هو من عنده)[٢٦].

ومن البديهي أن الله عز وجل يؤيد الذين يقفون بوجه الظلم وينصرون آل بيت نبيهم صلّى الله عليهم أجمعين.

ومما يدل على تأثر حركة علم السيرة وتطوره من خلال تدخل البلاط الأموي في عمل ابن شهاب الزهري في رواية السيرة وكتابتها، هو ما يأتي:

١. قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب، قال: (قال لي خالد بن عبد الله القسري ـ أحد عمال بني أمية ـ: أكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، وما أتممته.

فقال: اقطعه، اقطعه، قطعه الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة.

فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، فأذكره؟.

فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم، ـ قال الزهري ـ لعن الله خالداً ومن ولاه، وصلوات الله على أمير المؤمنين)[٢٧].

ولذلك لم يكتب ابن شهاب لبني أمية

أحاديث في فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا يدل في الواقع على تقديم الزهري لسيرة ناقصة وغير حقيقية، لأنها فقدت أحد أهم أركانها، واختفت معها فصول كبيرة ومهمة من حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) التي ارتبطت بأهل بيته ولاسيما بعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فضلاً عن الإنجازات التي تلازمت مع وجود علي (عليه السلام) في حركة التبليغ النبوية في مكة والمدينة، بل منذ اتخذه النبي الأكرم ربيباً في صغره يغدو عليه ليلاً ونهاراً حتى آخر لحظات عمره المقدس حينما تولى غسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتكفينه ومواراته في حفرته[٢٨].

لذا:

فأي سيرة نبوية يمكن أن تكتب للأجيال المسلمة التي خلفت الزهري، وهي تخلو من ذكر علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما أراد خالد القسري وأسياده؟!!.

٢. روى المعتزلي في النهج، قائلا: (روى عبد الرزاق عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي (عليه السلام)، فسألته عنهما يوما. فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما! الله أعلم بهما، إني لأتهمهما في بني هاشم[٢٩]!؟.

وفي الواقع لو ذكر أحدنا هذا القول وصرح بأن عروة وعائشة متهمان في بني هاشم لحكم عليه بالتكفير من أهل تكفير المسلمين!؟ لكن الحمد لله الذي جعل كثيرا من الحقائق تجري على لسان السلف من الصحابة والتابعين. وهكذا يسير ابن شهاب الزهري في نهجه في كتابة السيرة النبوية الذي اعتمد فيه إخفاء ذكر علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعلمه بعدم رضا آل بني أمية ولاحتياجه إليهم لم يستطع الزهري أن يدون كثيرا من الحقائق التي كانت من أسس السيرة النبوية، ولطالما كان يصرح بتدخل أولئك الحكام وأشياعهم في تغيير حقيقة السيرة النبوية.

ولعل من الشواهد التي تظهر تذمر الزهري أو سخريته من الزمن الذي أصبح فيه بنو أمية حكاماً وولاة على

المسلمين، هو ما يتعلق بحقيقة من حقائق السيرة النبوية، ألا وهي صلح الحديبية، حيث ثبت في النصوص التاريخية ومن طرق عدة أن كاتب الكتاب في صلح الحديبية هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٣٠]، إلا أن هذا الأمر لو عرض على بني أمية لقالوا غير علي (عليه السلام)، وهذا يكشف كما قلنا عن تأثر حركة علم السيرة وتطوره في العصر الأموي ولاسيما في دور ابن شهاب فيه.

فقد روى الصنعاني في المصنف، قائلا: (أخبرنا معمر، قال: سألت عنه، ـ أي كتاب صلح الحديبية من الذي كتبه ـ؟. فضحك الزهري، وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء، قالوا: عثمان، يعني بني أمية)[٣١].

ولا شك أن هذا المنهج الذي بذل من اجله بنو امية الغالي والنفيس بغية ارسائه في اذهان المسلمين ومصنفاتهم وكتاباتهم وروياتهم قد أثر في منظومة الفكر الإسلامي منذ القرن الأول الهجري وإلى يومنا هذا، وهو ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الرابعة: أثر منهج إقصاء ذكر علي (عليه السلام) في الفكر الإسلامي

لقد شهدت منظومة الفكر الإسلامي تصدّعاً كبيراً بسبب ارساء منهج اقصاء ذكر علي (عليه السلام) الذي أُسس منذ الأيام الأولى التي اعقبت وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلم، وبانت آثاره في جوانب عديدة من المنظومة الفكرية للإسلام كالفقه والعقيدة والتفسير والسيرة والرجال، بل سرى ذلك في معظم الأصول والفروع الإسلامية.

ولعل تتبع جميع هذه العناوين وما ورد فيها من شواهد لهذا التصدع يحتاج إلى كتاب مستقل.

ولكن نورد بعضاً منها وهي كالآتي:

١. قال ابن تيمية في منهاجه عند بيان التشبه بالشيعة: (ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات، إذ صار شعاراً لهم ـ أي الشيعة ـ فإنه وإن لم يترك واجبا لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم، فلا يتميز السني من الرافضي،

ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة ذلك المستحب)[٣٢].

٢. قال مصنف آلهداية: (إن المشروع التختم باليمين، ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار)[٣٣].

٣. قال الغزالي إن تسطيح القبور هو المشروع-أي أن يجعل لها بناء وسطح- ولكن لما جعلته الرافضة شعارا لها، عدلنا إلى التسنيم[٣٤].

٤. قال ابن عبد الرحمن: (السُنة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من المذهب الشافعي)[٣٥].

٥. قال أبو حنيفة وأحمد: التسنيم أولى، لأن التسطيح صار شعارا للشيعة، أي على الرغم من كونه سنة، وهو المشروع إلا أن الحرب المعلنة على مدرسة آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جعلتهم يعدلون عن السنة[٣٦].

٦. ذكر الزرقاني في المواهب اللدنية في صفة عِمّة النبي (صلّى الله عليه وآله) ـ أي العمامة ـ على رواية علي (عليه السلام) في إسدآلها على منكبيه حين عمّمَه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم ذكر قول الحافظ العراقي: إن ذلك أصبح شعار كثير من فقهاء الإمامية ينبغي تجنبه لترك التشبه بهم[٣٧].

كل ذلك وغيره قد انعكس سلباً وأسهم في إعطاء صورة غير حقيقية لواقع الرسالة المحمدية ودورها القيادي للبشرية، ناهيك عن تكوّن رؤى وآراء وقراءات سلبية ومشوشة عن الإسلام ونبيّه الأعظم (صلّى الله عليه وآله).

٧. قال الفخر الرازي: روى البيهقي عن أبي هريرة قال: كان رسول الله يجهر في الصلاة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) وكان علي[عليه السلام]يجهر بالتسمية وقد ثبت بالتواتر، وكان علي ابن أبي طالب يقول: «يا من ذكره شرف للذاكرين»، ومثل هذا كيف يليق بالعاقل أن يسعى في إخفائه».

وقالت الشيعة: السنّة، هي الجهر بالتسمية، سواء أكانت في الصلاة الجهرية أم السرية، وجمهور الفقهاء يخالفونهم ـ إلى إن قال: إنّ علياً كان يبالغ في الجهر

بالتسمية، فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر، سعيا في إبطال آثار علي[عليه السلام][٣٨].

٨. يظهر موقف الزمخشري صاحب الكشاف جانباً من أثر منهج اقصاء ذكر علي (عليه السلام) في منظومة الفكر الإسلامي فيقول في بيان كيفية الصلاة على النبي (صلّى الله عليه وآله)، قائلاً:

(القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾وقوله (صلّى الله عليه وآله) وسلم: «اللهم صل على آل أبي أوفى».

ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك : وهو إنّها ان كانت على سبيل التبع كقولك (صلّى الله على النبي وآله) فلا كلام فيها، وإما إذا أراد إفراد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ موقف التهم»[٣٩].

لذا: امتنع الزمخشري من الصلاة على آل النبي صلاة منفردة.

٩. قال الشعبي: (ما لقينا من علي بن أبي طالب إن أجبناه قتلنا، وإن أبغضناه هلكنا)[٤٠].

ومن ثم فنحن أمام تصدع كبير لهذه المنظومة الفكرية انعكست على تفرق المسلمين إلى ثلاثة وسبعين فرقة، وقدّمت صورة متناقضة بين القرآن الكريم الذي جاء ليخاطب أهل الفكر والعقل في كل مكان وزمان وبين هذا الإرث الإسلامي المدون في مصنّفاتهم والذي كان ضمن منهج الإقصاء لكل القيم الحقّة التي جاء بها القرآن ورسول الله (صلّى الله عليه وآله).

ولعل التأمل في قول المفكر الفرنسي روجيه جارودي بعد أن أسلم يقدم صورة حقيقية لتلك الآثار والدمار الذي خلّفه قادة المنهج الإقصائي في منظومة الفكر الإسلامي.

يقول روجيه غارودي: (قرأت القرآن الكريم، وأعدت قراءته مرات كثيرة، ولا أدري إن كنت قد فهمته جيداً بالطريقة التي

يجب على الإنسان أن يفهمه بها أم لا، فقد بدا لي أن الرسول (صلّى الله عليه وآله) جاء بدين عظيم هو أساس الأديان، لم ينكر فيه الأنبياء السابقين، بل جاءت رسالته متممة ومكملة للرسالات السابقة، ثم شرعت في قراءة الأحاديث النبوية، وعندما أتيح لي السفر إلى المدينة المنورة قمت بشراء واقتناء مجموعة من الأحاديث في كتب البخاري ومسلم، فرأيت شيئا آخر أعبر عنه بهذه العبارة الصريحة: رأيتني وكأنني أمام دين آخر ونشأ في نفسي انطباع من قراءتي للحديث الشريف أنني أمام دين تقليدي.

فكل ما وجدته في كتب الأحاديث، وكل ما رأيت للرسول (صلّى الله عليه وآله) يتحدث عنه أو يشير النبي فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه وأشياء أخرى من هذا القبيل، لا كما رأيت في القرآن الكريم من الأساسيات التي تدل على كمال الدين الإسلامي)[٤١].

فهذا الانطباع بل والتحول في الرؤية والقراءة للدين الإسلامي كان من أسبابِ محاربة قادة الاقصاء لمدرسة العترة النبوية؛ وفرض حصار كبير على نتاجها الفكري والعلمي إلى المستوى الذي اصبح فيه المسلم يخاف أن يتكلم مع الإمام علي (عليه السلام) أو يقترب منه حتى في المنام والرؤية. مما يقدم صورة اخرى تمثل الانهيار النفسي الذي اوجده الإرهاب الفكري الذي كان يسير جنباً إلى جنب مع منهج الإقصاء؛ فقد روي: (أنّ رجلاً رأى علياً في المنام فلم يجسر على الدنو منه، فسأله صاحبه؟ فقال أخشى إن قربت إليه أسأله أن أُتّهم بالتشيع)[٤٢]!!

أبرز نتائج البحث:

يمكن أن نجمل أبرز ما خلص إليه البحث من نتائج، على النحو الآتي:

١. لقد خلق القرآن الكريم الوعي المعرفي لدى العرب والمسلمين في إرساء أهمية تدوين حياة النبي (صلّى الله عليه وآله) وسلم ومغازيه.

وقد برز بعض الرجال في خلق حالة من الوعي التاريخي في الأمة بفعل تلك المادة القرآنية التي كانت تتحدث عن

الأمم السابقة.

٢. إن التأسيس للمنهج الإقصائي لذكر علي (عليه السلام) سواء أكان بآلية التحديث والرواية أم بالتدوين قد بدأ منذ الأيام الأولى التي أعقبت وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلم؛ فكان أبرز قادته الشيخان.

٣. إن أول من قام باعتماد هذا المنهج وإرسائه في الأمة هو معاوية بن أبي سفيان ومن تلاه من حكام بني أمية فنتج عن هذا المنهج اختفاء كثير من الحوادث والمواقف من السيرة النبوية وكذلك السّنة، أو تغييرها.

٤. إن هذا المنهج تسبب في تصدع منظومة الفكر الإسلامي منذ ظهوره وإلى يومنا هذا؛ مما قدم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين فضلاً عن تفرق المسلمين وتكفير بعضهم بعضاً وتغلغل الفكر التكفيري وسطوته على الحياة الإسلامية في عصور مختلفة.

وفي الختام ندعو المفكرين والباحثين والمحققين إلى تكثيف الدراسات العلمية في مختلف المجالات المعرفية ضمن المنظومة الفكرية الإسلامية بغية الوصول إلى صورة الإسلام الحقيقية الممثلة بالعترة النبوية ورمزهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي أقصي ذكره من هذه المنظومة منذ القرن الأول للهجرة وإلى يومنا هذا فما زاده ذلك إلا ظهوراً: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٤٣].

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج٢، ص٦.

(٢) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص١٩.

(٣) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص١٩-٢٠.

(٤) تذكرة الحافظ: ١، ص١٥١؛ و٢٢٩؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ج١، ص ٣٥١.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص٣٦، عن أبي سعيد الخدري عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله) وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً)، قال: (ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً).

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٥.

(٧) المصدر السابق: ج١، ص٢.

(٨) تقييد العلم للخطيب البغدادي: ج٢ن ص٢١.

(٩) تقييد العلم: ص٥٣؛ حجية السنة: ص٣٩٥؛ من حياة الخليفة عمر للبكري: ص ٢٤٧.

(١٠) تقييد العلم: ص٤٩.

(١١) البحث المحيط في أصول الفقه للزركشي: ج٣، ص٢٣٦.

(١٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي: ج١١، ص٤٣؛ ينابيع المودة: ج٣، ص٣٧٧؛ النصائح الكافية لابن عقيل: ١٥٢؛ البحار للمجلسي: ج٤٤، ص٦٨.

(١٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١١، ص٤٤-٤٦.

(١٤) أبو سعيد أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان سبع سنين ثم عزله عنها؛ عده الرازي في المدنيين، وقد روى عنه أبو الزناد وبنيه بن وهب وعبد الله بن أبي بكر والزهري، مات بالفالج في خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٥هـ. الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٥١ ــ ١٥٢. الجرح والتعديل للرازي: ج ٢، ص٢٩٥. مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص١١١. تقريب التهذيب لابن حجر: ج١، ص٥١. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١، ص٨٤.

(١٥) الموفقيات للزبير بن بكار: ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(١٦) تاريخ التراث: ج٢، ص٧٥، نقلاً عن: الدراسات الإسلامية لجولد تسهير: (Goldziher Muh. Stud. ١١ ٣٨).

(١٧) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج١، ج٢، ص٧٥.

(١٨) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢، ص١٣٥. تاريخ التراث، سزكين: ج٢، ص٧٥.

(١٩) تاريخ التراث العربي: مج١، ج٢، ص ٧٥.

(٢٠) تدريب الراوي للسيوطي: ص ١٤٦، تاريخ التراث العربي: مج١، ج٢، ص٧٦.

(٢١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) للحافظ ابن المغازلي: ص ١٤٢، ح ١٨٦، ط المكتبة الإسلامية، سنة ١٣٩٤هـ.

(٢٢) الجرح والتعديل للرازي: ج٢، ص١٨ ـ ج ٨، ص٧٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٥٥، ص٣٤٤. سير أعلام الذهبي: ج٥، ص٣٣٦. الأعلام للزركلي: ج٧، ص٩٧. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٤، ص١٧٧.

(٢٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٤، ص ١٧٧.

(٢٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٥، ص ٣٣٩.

(٢٥) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٥، ص ٣٤٠.

(٢٦) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٥٥، ص٣٧١. سير الأعلام للذهبي: ج٥، ص٣٣٩. تاريخ الإسلام للذهبي: ج٨، ص٢٤٦.

(٢٧) الأغاني للاصفهاني: ج٢٢، ص٢١، ط دار الفكر. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج١، ص٥٣. أعلام الورى للطبرسي: ج١، ص٩.

(٢٨) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ج٨، ص١٠٧. عمدة القاري للعيني: ج١٨، ص٧١. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢، ص٢٦٣.

(٢٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٤، ص٦٤. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج١، ص ٥٣. كتاب الأربعين للقمي الشيرازي: ص٢٩٠. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٣٠، ص٤٠٢. النصّ والاجتهاد لسيد شرف الدين: ص٥١٣. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي النجفي: ج٦،

ص٢١٩. قاموس الرجال للتستري: ج٩، ص٥٨٤.

(٣٠) خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي: ص١٥٠. المصنف لعبد الرزاق: ج٥، ص٣٤٣، ح٩٧٢١. تفسير مقاتل بن سليمان: ج٣، ص٣٥٤. الدر المنثور للسيوطي: ج٦، ص٧٨. الفصول المهمة لابن الجصاص: ج٤، ص٣٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٣٨، ص٣٢١. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج١، ص٥٣.

(٣١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج٥، ص٣٤٣، ح٩٧٢٢.

(٣٢) منهاج السنة لابن تيمية: ج٢، ص ٤٣، (التشبه بالروافض).

(٣٣) الغدير للعلامة الأميني: ج١٠، ص ٢١٠.

(٣٤) نهج الحق للعلامة الحلي: ص٤٥١؛ الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج٣، ص٢٠٦.

(٣٥) الغدير: ج١٠، ص٢١٠.

(٣٦) أنظر فتح الباري لابن حجر: ج٣، ص٢٠٤؛ تحفة الأحوذي: ج٤، ص١٣٠ وفيها: عوض الشيعة وأهل البدع، وقالا: يرجحان التسطيح على التسنيم؛ رحمة الأمة للدمشقي: ج١، ص٨٨.

(٣٧) شرح المواهب للزرقاني: ج٥ ، ص١٣.

(٣٨) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: ص٩٠.

(٣٩) الكشاف: ج٣ ص٢٧٣.

(٤٠) النصائح الكافية لابن عقيل العلوي: ص١٥٣.

(٤١) أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري: ج ٢، ص ٣٨١.

(٤٢) وضوء النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم للشهرستاني: ج١ ص٤٥٤

(٤٣) التوبة : ٣٢.

قائمة المصادر والمراجع

١- تاريخ التراث العربي/ فؤاد سزكين/ الطبعة الثانية ١٢١٢ هـ ق/ الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم - ايران.

٢- نشأة علم التاريخ عند العرب/ عبد العزيز الدوري/ الطبعة الاولى/ الناشر مركز دراسات الوحدة العربية/ الحمراء_ بيروت_ لبنان.

٣- تذكرة الحفاظ/ الذهبي/ الوفاة:٧٤٨/ الناشر: دار احياء التراث العرب - بيروت- لبنان لكتاب: تاريخ الاسلام.

٤- النجوم الزاهرة/ لابن تغري بردي/ الطبعة الاولى/ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٥- مسند أحمد/ الامام احمد بن حنبل/ الوفاة: ٢٤١/ الناشر: دار صدار - بيروت - لبنان.

٦- تقييد العلم/ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي/ الوفاة : ٤٦٣/ تحقيق : يوسف العش/ الطبعة : الثانية/ سنة ١٩٧٤ م/ الناشر : دار إحياء السنة النبوية.

٧- البحر المحيط في أصول الفقه/ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي/ سنة الوفاة ٧٩٤هـ / تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر/ الناشر دار الكتب العلمية/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م/ لبنان/ بيروت.

٨- شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد/ الوفاة : ٦٥٦/ الطبعة : الأولى/ ١٣٧٨- ١٩٥٩ م/ دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩- ينابيع المودة لذوي القربى/ القندوزي/ تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني/ الأولى/ ١٤١٦/ المطبعة : أسوه/ الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر.

١٠- النصائح الكافية/ سيد محمد بن عقيل العلوي/ الوفاة : / ١٣٥٠/ الطبعة : الأولى/ ١٤١٢/ المطبعة : دار الثقافة للطباعة والنشر - قم.

١١- بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/

الوفاة:١١١١/ الطبعة الثانية المصححة/ سنة الطبع:١٤٠٣- ١٩٨٣ / الناشر: مؤسسة الوفاء-بيروت - لبنان.
١٢- الطبقات الكبرى/ ابن سعد/ الوفاة : / ٢٣٠/ الناشر : دار صادر - بيروت.
١٣- الجرح والتعديل/ ابن أبي حاتم الرازي/ الوفاة : ٣٢٧/ الطبعة : الأولى/ ١٣٧١-١٩٥٢ م/ المطبعة : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-بحيدر آباد الدكن - الهند/ الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٤- مشاهير علماء الامصار/ ابن حبان/ الوفاة: ٣٥٤/ تحقيق: مرزوق على ابراهيم/ الطبعة الاولى/ سنة الطبع: ١٤١١هـ / الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة.
١٥- تقريب التهذيب/ ابن حجر/ الوفاة : ٨٥٢ / تحقيق : دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
الطبعة : الثانية/ ١٤١٥/ الناشر : دار الكتب العلمية-بيروت - لبنان.
١٦- تهذيب التهذيب/ ابن حجر/ الوفاة : ٨٥٢/ الطبعة : الأولى/ ١٤٠٤ / الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان.
١٧- الموفقيات للزبير بن بكار/ الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي/ (المتوفى: ٢٥٦هـ)/ تحقيق: سامي مكي العاني / الطبعة: الثانية/ ١٤١٦هـ/ الناشر: عالم الكتب - بيروت.
١٨- تاريخ التراث العربي/ د. فؤاد سزكين/ ١٤١١/ الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-جامعة الملك سعود.
١٩- تَدْرِيبُ الرَّاوِي / جلال الدين السيوطي/ حققه عرفان العشا حسونة/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
٢٠- مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)/ ابن المغازلي/ الطبعة : الأولى/ ١٤٢٦ / المطبعة : سبحان/ الناشر : انتشارات سبط النبي (ص).
٢١- الجرح والتعديل/ ابن أبي حاتم الرازي/ الوفاة : ٣٢٧/ الطبعة : الأولى/

١٣٧١ / المطبعة : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية–بحيدر آباد الدكن - الهند/ الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٢- تاريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر/ الوفاة : ٥٧١/ ١٤١٥ / المطبعة : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت - لبنان.
٢٣- سير أعلام النبلاء/ الذهبي/ الوفاة : ٧٤٨/ الطبعة : التاسعة/ سنة الطبع : ١٤١٣/ الناشر : مؤسسة الرسالة–بيروت - لبنان.
٢٤- الأعلام/ خير الدين الزركلي/ الوفاة : ١٤١٠/ الطبعة : الخامسة/ سنة الطبع : أيار–مايو ١٩٨٠/ الناشر : دار العلم للملايين–بيروت - لبنان.
٢٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ ابن خلكان/ الوفاة : ٦٨١/ المطبعة : لبنان–دار الثقافة.
٢٦- تاريخ الإسلام/ الذهبي/ الطبعة : الأولى/ ١٤٠٧/ المطبعة : لبنان/ بيروت–دار الكتاب العربي.
٢٧- الأغاني/ أبي الفرج الأصفهاني/ الوفاة : ٣٥٦/ الناشر : دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان.
٢٨- الفصول المهمة في معرفة الأئمة/ علي بن محمد أحمد المالكي (ابن الصباغ)/ الوفاة : ٨٥٥/ الطبعة : الأولى/ ١٤٢٢/ المطبعة : ستاره/ الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر.
٢٩- إعلام الورى بأعلام الهدى/ الفضل بن الحسن الطبرسي/ الوفاة : ٥٤٨ / الطبعة : الأولى–ربيع الأولى–١٤١٧ هـ/ الطبعة : الأولى/ ربيع الأول ١٤١٧/ المطبعة : ستارة - قم/ الناشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث–قم المشرفة.
٣٠- فتح الباري/ ابن حجر/ الوفاة : ٨٥٢/ الطبعة : الثانية/ المطبعة : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت–لبنان
٣١- عمدة القاري/ العيني/ الوفاة : ٨٥٥/ المطبعة : بيروت–دار إحياء التراث العربي.
٣٢- كتاب الأربعين/ محمد طاهر القمي الشيرازي/ الوفاة : ١٠٩٨/ الطبعة :

الأولى/ ١٤١٨/ المطبعة : أمير
٣٣- النص والاجتهاد/ السيد شرف الدين/ الوفاة : ١٣٧٧/ الطبعة : الأولى/ ١٤٠٤/ المطبعة : سيد الشهداء (عليه السلام) - قم/ الناشر : أبو مجتبى.
٣٤- شرح إحقاق الحق/ السيد المرعشي/ الوفاة : ١٤١١/ الناشر : منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي–قم - ايران.
٣٥- قاموس الرجال/ الشيخ محمد تقي التستري/ الطبعة : الاولى/ ١٤١٩ هـ / قم/ الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٦- خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام)/ النسائي/ الوفاة : ٣٠٣/ الناشر : مكتبة نينوى الحديثة - طهران.
٣٧- المصنف/ عبد الرزاق الصنعاني/ الوفاة : ٢١١/ تحقيق : عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي.
٣٨- تفسير مقاتل بن سليمان/ مقاتل بن سليمان/ الوفاة : ١٥٠/ تحقيق : أحمد فريد/ الطبعة : الأولى/ ١٤٢٤ / المطبعة : لبنان/ بيروت–دار الكتب العلمية.
٣٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ جلال الدين السيوطي/ الوفاة : ٩١١/ الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر– بيروت - لبنان.
٤٠- منهاج السنة/ لابن تيمية/ الطبعة: الاولى/ ١٤٠٦ / الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٤١- الغدير/ العلامة الاميني/ الطبعة : الرابعة/ ١٣٩٧ / الناشر : دار الكتاب العربي–بيروت - لبنان.
٤٢- نهج الحق وكشف الصدق/ العلامة الحلي/ الوفاة : ٧٢٦ / ١٤٢١/ المطبعة : ستارة - قم/ الناشر : مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة - قم.
٤٣- الصراط المستقيم/ علي بن يونس العاملي/ تحقيق : تصحيح وتعليق : محمد الباقر البهبودي/ الطبعة : الأولى/ ١٣٨٤/ المطبعة : الحيدري/ الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
٤٤- تحفة الأحوذي/ المباركفوري/ الوفاة

: ١٢٨٢/ الطبعة : الأولى/ ١٤١٠/ الناشر : دار الكتب العلمية–بيروت - لبنان.

٤٥- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة/ الدمشقي/ دار الكتاب العربي–بيروت - لبنان.

٤٦- شرح المواهب/ الزرقاني/ الوفاة ١١٢٢هـ/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٧هـ/ الناشر: دار الكتب العلمية.

٤٧- مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي/ الطبعة الاولى/ ١٤٠١ / الناشر: دار الفكر.

٤٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ الزمخشري/ الوفاة : ٥٣٨/ سنة الطبع : ١٣٨٥/ الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء.

٤٩- النصائح الكافية/ سيد محمد بن عقيل العلوي/ الوفاة : ١٣٥٠/ الطبعة : الأولى/ ١٤١٢/ المطبعة : دار الثقافة للطباعة والنشر - قم.

٥٠- أحاديث أم المؤمنين عائشة / العلامة السيد مرتضى العسكري/ الطبعة الخامسة / ١٤١٤ هـ / المطبعة : مطبعة صدر/ الناشر : التوحيد للنشر .

٥١- وضوء النبي (صلى الله عليه وآله)/ السيد علي الشهرستاني/ الطبعة : الأولى/ ١٤١٥/ المطبعة : ستارة - قم.